



الترقيم الدولي :

ISBN : 978-9920-39-733-9

تحقيق ومراجعة :

الشرطي الخل والصديق 

إهداء

إلى التي صارحتها بحبي ذات يوم ...

إلى التي كتبت لها رسالة مملوءة بعشق لا ينقضي ...

إلى التي مزقت الرسالة ولم تكثرث لعظيم حبي ...

إني أراك كل يوم ...

وأبشرك ...

أنه لم يعد شيء في قلبي من ذلك الذي كان ...

وبشكل كبير صرت أكرهك ...

الأيام دول ...

مقدمة

أعيش حالة نفسية صعبة ، بعثت في داخلي كرها محموما
متقدا ، اللهم من حين إلى حين ، أحاول دفعه بشيء من
الرضى .

إنه لمن الصعب أن يهمل المرء نفسه وقد بدا عليه الألم ،
ولكن ما الذي يجب عليّ أن أفعله وقد انتهت اليوم جميع
آلامي ...

كاميليا

كانت ليلة بريح حادة باردة ، وندف الثلج تملأ الزقاق
بكثير من البياض ، ودفعة ريح قوية تضرب بالنوافذ بأثمة
الرعب فيّ وأنا أجّر رجليّ بالكاد كي أغلق الأبواب
والنوافذ، وقبل أن يتسلل الثلج والبرد إلى فراشي الذي
حالما بدأت أحس بدفنه .

مررت بقرب المرأة وأنا ألمح وجهي الرمادي الشاحب
ينعكس من الزجاج ، توقفت واقتربت وأنا أدقق في ملامح
وجهي ، لعلي أرى ما بقي من الجمال ، كي أكبت ولو لحد
ما إحساسي المرهق ، وإن استطعت أيضا أن أرفع الفاقة
التي قتلت فيّ الإحساس بالحياة .

رجعت إلى فراشي أدوي همومي بالخلود إلى النوم ،
أستمع لصوت الرياح ، وأركز على همسات ندف الثلج التي
تصطدم بزجاج النافذة ، كي أغيب في سباب قرير .

لقد اتسم سلوك كاميليا بالخسة والحقارة ، وقد ذهلت أشد
الذهول بعد أن علمت بخيانتها لي ، ورغم أن جريمتها
انتهت بالزواج من خوسيه ، إلا أنني سكبت دموعا حارة ،
وأحسست بخزي لا يمحي ولا يندثر .

لم أقوى وقتئذ على تحمل ألم خنجر الغدر في قلبي ، وقد
حاولت ، وحاولت مرارا وتكرارا ، وممرت السنوات ، ولا
زال وقع تلك الصدمة يراودني كلما تذكرتها ، رغم أن حدته
بدأت تخف ومضي الزمن .

إنه لمن المؤسف أن تبذل الغالي والنفيس من أجل من
تحب ، وأن تبني مستقبلك على سعادة من تحب ، وفي
الأخير تكتشف خبث نواياه ، وكيف استطاع أن يخدعك
طوال هذه المدة ...إنه لأمر صعب جدا .

مرت السنوات وقد كثرت فيها الهموم والأحداث ، التي جعلت ذكرى كاميليا مجرد حلقة من مسلسل طويل جدا ، وشاعت الأقدار أن نصبح جيرانا بعد مرور عشرين سنة ، لقد تغيرت كاميليا كما تغيرت مشاعري اتجاهها ، أصبح لديها ابنتان وطفل رضيع ، وقد بلغت بها الفاقة وضعا لا يحسد عليه ، كيف وزوجها خوسيه يقامر بكل فلس في جيبه .

فبسرعة مسرفة هوت حياتهما إلى قاع الذل والفقير على نحو مباغت مفاجئ ، بعد أن راهن خوسيه بكل أمواله في صالات القمار حتى وصل به الحد بالمراهنة على بيته في إحدى الحانات بالبلدة ، وقد شهد ذلك العمدة ليونيد ، والضابطان من الدرجة الأولى أندروس ودانييل ، وصاحب الحانة أيضا السمين أناتولي .

لقد كان رهانه في لعبة البوكر مع التاجر النبيل المرموق يوري بوغدان .

كان الجو لطيفا ذلك اليوم وقد أعدت كاميليا فطورا من حساء السوليانكا وبعضا من حلويات البيروزكي ، لقد كان صباحا هادئا ، والطفلتان أناستازيا ومانيا تلعبان بجوار الموقد تنتظران تذوق الحساء اللذيذ ، والرضيعة إيرينا لا زالت نائمة .

استيقظ خوسيه على وجع الرأس ، وبؤس الغثيان ، وألم العضلات من آثار الثمالة ، اتجه مباشرة نحو كاميليا يقبلها ويسألها إن كانت تملك شيئا من المال من بيعها لتلك الصلبان الخشبية ولعب السجائر كذلك ...

وكانت كاميليا على عاداتها تخاف من زوجها الوحش ، وتراعي و بشكل كبير لمستقبل أبنائها ، ولنظرة مجتمعها البروستاتي المحافظ .

استحم خوسيه بعد أن أخذ شيئا من المال ، وقبل يد زوجته شاكرا ، وهو يغرقها بالوعود أنه سيعوض كل شيء ذات يوم ، وما إن التفت إلى الجهة المقابلة حتى تهجم وجهه ، بعد أن كان كالكلب وهو يتكلم بذل ورقة ولطافة .

ولكنّ كاميليا رغم ذلك كله فمقصدها نبيل ، لقد كانت
حصيفة الفكر ، سديدة الرأي ما دامت تفعل كل شيء
وتصبر على كل شيء من أجل الأبناء الثلاثة .

أما بالنسبة لي فقد حطمت قلبي تحطيمًا ، ولعل قريبا مني
زاد من استرجاع تلك الذكريات .

لقد انطبع في ذاكرتي كل شيء وأنا أسمع صوتها وهي
تعاتب الأطفال وتلاعبهم بين الفينة والأخرى ، بيننا جدار
أعتكف بقربه مؤخرا وأسمع منه كل شيء ، بل وحتى
أحاديث الغزل بينها وبين خوسيه ، وكانت تلك أصعب
لحظات الندم ، تمنيت وقتها لو انشقت الأرض كي أطمس
فيها إلى الأبد .

كل ذلك الألم ينبعث من طابق صغير واحد بثلاث نوافذ لا
تفتح أبدا ، وبسطح قرميدي ومدخنة صغيرة الفوهة
تتهاوى حوافها ، وكيف لا وكلها آجر رخيص .

في الخارج جو مكتوم ممل ، وفي الداخل حياة حبيبتني
كاميليا البائسة ، المرأة القوية التي تمنيتها زوجة لي

وحبيبة أبدية سرمدية ، حين كنت أعيش تلك الكذبة الكبيرة معها .

وها أنا الآن أعيش مع لادا العاملة بالنزل المتواجد بشوارع كوزنيتسكي قرب حانة السمين أناتولي ، تلك الفتاة السمينة العطوفة ، فرغم أنني لا أكسب الكثير من مهنتي كحوندي ، بسبب ما بدأ يعانيه هذا القطاع من اندثار يوشك أن يعلم برحيل أبدي ، فلا زلت أكسب قوت يومي مع لادا ، فيكفي أن أحضر بعض الخبز المقدد والمربى وبعض اللحم ، وحبيبتي لادا تهتم بالباقي ، ولا زال يزعجني ذلك ، فلا أرى أفضل من أن أجد عملا مربحا ، وأريح لادا كي تحافظ على جمالها الذي بدأ ينطفئ ويذبل ، وغيرتي التي تحرقني كل يوم من الأغبياء الذين لا ينفكون يتحرشون بها ، وشكاواها اليومية من تصرفاتهم ، تروي ذلك وفي نفسها شيء من الغضب والحزن ، وفي بعض الأحيان تبكي قهرا ، وفي بعض الليالي لا يغمض لها جفن طوال الليل .

تلبث جاثية أمام الصليب ، تدعو لساعات في صمت رهيب،
وفي يوم من الأيام توقفت عيناها فجأة وهي تنطق كلمة
كاميليا وقد ساورها شك أفصحت عنه متسائلة :

_ألا زلت تحب كاميليا يا فيودور ...!!

كان سؤالاً مباغتاً ، مفاجئاً ، تلتها تمتمات مني فضحت كل
شيء ...

_أم ... آآآ... من ... أنا ... ما هذا السؤال يا لادا ...!!!

كاميليا كانت منذ زمن ، أما الآن فأنت يا لادا ... لا غير .

لقد أصبحت لادا أكثر بدانة وقد ابيض شعرها وهي تلبس
قماشاً أحمر ، وقد التفتت إلى الصليب مرة أخرى كي تكمل
ترانيمها .

ارتابني الرعب من سؤالها المفاجئ ، جعلني أتخلى عن
فكرة التجسس على كاميليا مجدداً ، تنهدت وفكرت طويلاً
ثم قلت :

أنت يا لادا أروع من عرفت

أنت الجوهرة الثمينة ...

أنت المرجان ...

في حياتي البائسة .

نظرت إلي مبتسمة وقد أطراها مديحي :

_ارقد كفاك هنرا ، واخلع حذاءك بهدوء كي لا توظظ

الطفل بطبقتات حذاءك كرية الرائحة .

خلعت الحذاء بخفة ودخلت غرفة النوم المظلمة وأنا أقترب

بحذر من السرير ، كي أنعم على ما يظهر لي بشيء من

المتعة جزاءا على المديح ... هكذا هي حبيبتي لادا .

وبعد وقت يسير وأنا لا زلت أرتب أثاثي قبل النوم ، رمقت

ظلاً لرجل عملاق من النافذة بشعر أحمر ، وبشرة جلدية

ينتعل خفا ويتجه نحو منزل كاميليا ومعه الضابطان

أندروس ودانييل ، وعربة بخيئين عملاقين أسودين ، وقد

نزل من العربة العمدة ليونيد والتاجر يوري ومعهما ورقة

رهان قد خسره خوسيه .

طرق خوسيه الباب بقوة ، وقد ملأ جوفه بالثودكا وهو
يصيح :

_كاميليا...كاميليا...أيتها الوقحة ، اخرجي...فالببيت لم
يعد ملكا لنا...اخرجي ...

فتحت كاميليا الباب وهي تظن أن خوسيه قد أسرف في
الشرب كعادته .

دفع خوسيه الباب وحاول إغلاقه بسرعة ، ولكن الضابطان
فطنا لحيلته ، وتم تكبيله فورا وإعطاء الورقة لكاميليا .

بدأت كاميليا بالقراءة ، لم تستطع تمالك نفسها من شدة
الصدمة ، تسمرت في مكانها وهي تعيش أتعس يوم في
حياتها .

استيقظ الأولاد ، وتعالى الصيحات وأنا أراقب كل شيء من
النافذة ، خرجت البنتان أناستازيا ومانيا وقد تملكهما
الرعب ، وقد استيقظت الرضيعة من كثرة الضجيج ، وبدأ
بكاؤها يتعالى بقوة إلى حد الإنقطاع ، وقد قطعت بذلك نياط

قلب التاجر بوغدان ، الذي تأثر و بشكل كبير بهيستيريا
القمار هاته ، وهو يهمس في أذن العمدة وهو يقول :

__أظن أنني لا أستطيع فعل هذا ، وأتمنى أن تجد تهمة
مناسبة للزج بهذا الوغد في السجن ، فكيف يعقل أن يراهن
ببيته الوحيد ولم يكتث أهد لمصير أبنائه ... يا له من وغد.
ولي وعد كذلك يا ليونيد أن أكرم هذه السيدة ، وأن أتخلى
عن هذا الرهان القبيح .

نظر العمدة بدهش للتاجر :

__أمركم صاحب السعادة ، وأعدكم أنه سيسجن لأمد
طويل .

نظر يوري لكاميليا نظرة شفقة قائلا :

__ لا تقلقي سيدتي ..اعذرينا ..فكل شيء سيكون على
ما يرام ..وسامحيني إن قلت لك أنك لا تستحقين هذا
الحقير الذي عزم على تشريدكم .

نطق العمدة :

__خزوه ...

هوت كاميليا على الأرض تقبل رجلي العمدة وهي تقول :

__أسألك يا سيدي أن تعفوا عنه ...إنه زوجي...زوجي
بمعنى زوجي ...أستمحكم يا صاحب السعادة ...اغفروا له،
وأعدكم أنه من الآن فصاعدا سيصبح رجلا صالحا ، هذا
وعد مني لكم ...يا صاحب السعادة ...

أشار العمدة للضابطين يأمرهما بإطلاق سراحه بعد أن
همس التاجر النبيل يوري بوغدان في أنه وهو يخاطب
كاميليا قائلا :

__انتبهي لنفسك أيتها الزوجة المجنونة ، فلقد كنت
ستصبحين منذ قليل في عداد المشردين ، وأضمن لك لو
تحقق ذلك أن تكوني في عداد الموتى بعد أسبوع من الآن
من شدة البرد ... فكوني حذرة سيدتي ، ولا تنسي التاجر
النبيل المحترم يوري بوغدان ...تذكره جيدا ، فلا وجود
لأمثاله في روسيا كلها ...

__هيا لنصرف ...هيا ...

نظر خوسيه لكاميليا نظرة ندم شديد وقد بُعث فيه شيء من
الأمل وهو يقول :

__سامحيني يا كاميليا ..لن أقامر مجددا ...

فعانقها وعانقته وهما يبكيان كأنهما التقيا بعد غياب طويل،
ولطالما عاملها معاملة شديدة الغلظة والفضاضة ، بدل
معاملتها بكثير من الرعاية والعطف ، فبفضاضة موقفه
وغلظة سخرياته ، كاد وللأسف أن يجني الويلات على
كاميليا وأبنائها الثلاثة .

لقد اتصفت بالتعقل والإرادة القوية رغم خيانتهمالي ،
فإطالما كان خوسيه صديقي المخلص ، ولطالما أحببت
كاميليا ، ولكني تحملت أشياء كثيرة وصبرت ، واتسمت
برفعة الروح ، وقد بلغ مني الألم غاية الكرب .

لقد كفت عن تحيته منذ زمن ..وهل يعقل ذلك ...!!

لقد كنت أقوى منهما عودا وأصلب شكيمة ، وأشد بأسا
أيضا ، ودائما ما أجلس في ركني بنبل قلب ، ضارعا
مبتهلا، مستحضرا المذلة والهوان وقد بلغت ذروة الكمد .

فجأش رابط وجنان ثابت ، وبهجة عنيفة ثائرة ، شكوت
الجور والظلم والعسف للخالق .

نعم .. تعانقا وقد التف حولهما الأولاد فصوروا الحب
والإخلاص والبؤس في آن واحد .

فأخبروها إذا ...

أخبروها عن فيودور ...

أخبروا كاميليا أني قد نسيت .

انتهى .

تم بفضل الله وقوته في 18 ذي القعدة 1441 هـ / الموافق ل9 يوليو

2020 م .

